ترجمة مصطفیٰ المراغي ومنهج تفسيره

عذرا بروين*

Abstract:

This Article reviews the methodology adopted by Allama Ahmad Mustafa Almahaghi(exegesis) Tafseer "Al-Maraghi" which occupies a significant place in Tafseer Literature. Allama Mustafa Al-Maraghari is one of the eminent scholars of modern times. Allama Mistafa is also one of the displaces of Allama Muhammad Abduho and the Arabic language in the faculty as well. He became the professor of Al-Azhar. He became famous after the publication of this (exegesis) Tafseer "Al-Maraghi" Which was published in 10 Volumes by "Dar-ul-Ahya Wataras-ul Arabi" Beruit on 06 December 1945. The style of this Tafseer (exegesis) is simple and comprehensive which holds a distinct place among the other Tafaseer (exegesis).

It consists of Islamic and Arabic Exegesis Likewise Hadith, Jurisprudence, theology, rhetoric, synatax and poetry etc.

The Writer brings hundreds of references, citations and quotations from the original book of Islamic and Arabic Literature.His arguments of refutation enhance its value. He frequently refers to the scholars of the past and sometimes does quote long paragraphs without referring the origins.

However his authenticity is beyond doubt and all information supplied in the Tafaseer is reliable.

تمهيد:

أحمد بن مصطفیٰ المراغي المصري عالم ديني وفقيه وولي ومصلح ومجدد كان مدرس الشريعة الاسلامية.وولي نظارة بعض المدارس وتلقى العلم على يد كبار العلماء والمشائخ واتصل بالامام محمد عبده وانتفع بدروسه في التأريخ والاجتماع والسياسة،وتوثقت صلته به ،وسار على نهجة في الاصلاح والتجديد فيما بعد.

ولادته:

ولد أحمد بن مصطفیٰ بن محمد بن عبد المنعم المراغي في سنة ١٢٩٢ھ /١٨٨١م مباحث مصري عارف بالتفسير ،من دعاة التجديد والاصلاح،ممن تولوا مشيخة الجامع

* ليكچرر شعبه عربی،بهاء الدين زكريا يونيورسٹی ملتان.

الأزهر،عرف بمحمد مصطفىٰ ولد بالمراغة(من جرجا،في الصعيد مصر)وتعلم بالقاهرة،وتلمّذ للشيخ محمد عبده.

مهامه:

وولي أعمالاً منها قضاء الشرعي.فقضاء القضاة في السودان(سنة ١٩١٨ -١٩١٩م)وتعلم الانجليزية في خلالها.وعيِّن شيخاً للأزهر سنة ١٩٣٥م فمكث عاماً.

مؤلفاته:

- ☆ بحث في ترجمة القرآن الكريم الىٰ اللغات الأجنبية.
- ☆ تفسير سورة الحجرات.
- ☆ تفسير سورة الحديد وآيات من سورة الفرقان.
- ☆ تفسير سورتي لقمان والعصر.
- ☆ الدروس الدينية.
- ☆ عدة رسائل.
- ☆ بحوث في التشريع الاسلامي.
- ☆ كتاب المحجورين.

ومن أهم مؤلفاته تفسير المراغي.

وفاته:

بعد صراع مع المرض وعن عمر يناهز الرابعة والستين لفظ الشيخ أنفاسه تاركاً وراءه أعمالاً تشهد بفضله بين الناس والفضل للمتقدم واذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث وكانت وفاةالشيخ في ٢٢ أغطس عام١٩٤٥م.رحم اللّٰه الشيخ الامام المراغي وأسكنه فسيح جناته.(١)

تأثر بالشيخ محمد عبده (الأستاذ المراغي)

تـأثر بروح الأستاذ الامام الشيخ محمدعبده،ونهج على طريقة من التجديد واطراح التـقـلـيـد،والـعـمـل عـلى تنقية الاسلام من الشائب التي ألصقت به،وونفقيه الغافلين عن هديه وارشاده.مثل الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي.

تـربـى هـذاالـرجـل في مدرسة الأستاذالامام،وتخرج منها وهو يحمل بين جنبيه قلباً مـليـئـاً بـالـرغبة فـي الاصـلاح،دفـع بـالـرجـل الـى ميـدان الحياة الاجتماعية،ترقى به مراتب المناصب الدينية ، وأخيراً وقف به عند الغاية،فاذا بالرجل شيخاً للأزهر واذا بروح الاصلاح والتـجـديد تندفق من فوق منبره،وعلى قلوب طلابه وغيرطلابه،ثم تنساب جارفة الى نواح من الحياة مختلفة فتعمل فيها عملاالسخر،والحياة والنور.

لـم يـلازم الشيـخ الـمـراغـي أستاذ الامام ملازمة طويلة كما لازمه الشيخ رشيد ولم يجلس اليه كثيراً مثل ماجلس،ولكنه كان على رغم ذلک أعمق أثراً وأكثر تحقيقاً لما تهدف اليـه هـذه المدرسة من ضروب الاصلاح وصنوف التجديد،والسرفي ذلک كما يظهر لنا.هو تـقـلـب الشيـخ فـي مـختـلف الـمناصب الدينية الكبيرة،ثم ما كان فيه من جاذبية وقدرة على اجتـلاب قلوب سامعية واستمالتها اليه،لما أجلس بين يديه الملک،والأمير،والوزير،والشيخ الكبير والطالب الصغير،ورجل الشارع.

جـلس هؤلاء جميعاً يستمعون اليه ويأخذون عنه، فكان الميدان فسيحاًأمام الشيخ ، يـلـقى فيه بآرائه وأفكاره،فتجد الدعوة قبولاً من مستمعيه،ورواجاًعند مريديه.....ثم لا تلبث أن تـنتشـر فتـعـم كـلّ شـيء.واذا كـان كتـاب الـلّـه هـوالـدستور الذي شرعه اللّٰه تعالىٰ للأمة الاسلامية،وجعل فيه خيرها وسعادتها في الدنيا والآخرة فلم لا يكون هو الباب الذي يصل منه الشيخ الى ما يرجوه من خير:وما يهدف اليه من اصلاح.(٢)

آراؤه..واتجاهاته الفكرية:

كان الشيخ المراغي معنياً بقضية الاصلاح والتجديد،مترسماً في ذلك خطى استاذه محمدعبده،وقد اهتم الشيخ المراغي باصلاح كل من الأزهر والقضاء.

اصلاح القضاء:كان اصلاح القضاء هوالاهتمام الشاغل للامام المراغي لتحقيق العدل والاصلاح بين الناس،وكان الشيخ يتبع أسلوباً جديداً مع المتقاضين،حيث كان يحاول أن يوفق بينهما دون اللجوء للتقاضي،وكان يرى أن القاضي يستمد أحكامه وقدراته من القرآن الكريم،والسنة النبوية الشريعة لا من القوانين الوضعية ،ولا سلطان لأحد عليه سوى اللّٰه حتى يستطيع أن يؤدي رسالته في العدالة بين الناس دون الخوف من أحد،حتى ولو كان الحاكم أوالسلطان.وكان الامام المراغي يرى أن اصلاح القانون هو اصلاح لنصف القضاء؛لذلك شكل لجنة برئاسته تكون مهمتها اعداد قانون يكون هو الركيزة الأساسية للأحوال الشخصية في مصر.وقد وجه الامام المراغي أعضاء اللجنة المكلفة باعداد القانون بعدم التقيد بمذهب معين،حيث كان القضاة لايحيدون عن مذهب الامام أبي حنيفة،الذي كان معمولاً به في ذلك الوقت،الى غيره من المذاهب ،ولكن الامام المراغي كان يرى بضرورة الأخذ بغيره من المذاهب اذا كان فيهامايتفق مع المصلحة العامة للمجتمع،وكان مماقاله لأعضاء اللجنة:"ضعوا من المواد ما يبدولكم أنه يوافق الزمان والمكان،فالشريعة الاسلاميةفيها من السماحة والتوسعة ما يجعلنا نجد في تفريعاتهاوأحكامها فيالقضاياالمدنية والجناية كل مايفيدنا وينفعنا في كل وقت.

اصلاح الأزهر :كانت نصرة الاسلام وتطوير واصلاح الأزهر على رأس أولويات الشيخ المراغي؛ لذلك الشكل فور تولية مشيخة الأزهر لجانا لاعادة النظر في قوانين الأزهر،ومناهج الدراسة فيه.كماقدم قانوناً لاصلاح وضع الأزهر للملك فؤاد الأول الذي كان مشرفا على شؤن الأزهر آنذاك،الا أن بعض حاشيةالملك فؤاد أو عزواله بأن الشيخ

المراغي يريد استقلال الأزهرعن القصر،فرفض الملک فؤاد القانون،وأعاده الى الشيخ المراغي،فما كان من الشيخ المراغي الا أن وضع القانون الخاص باصلاح الأزهر في ظرف،واستقالته من مشيخة الأزهر في ظرف آخر،وطلب من الملک فؤادحرية الاختيار، فقبل الملک فؤاد الاستقالة،ولكن الاضرابات عن الدراسة التي قام بهاعلماء وطلاب الأزهر،والتي استمرت أكثرمن١٤ شهراً أجبرت الملک فؤاد على اعادةالمراغي شيخاً للأزهر مرة آخرى.

وقام الشيخ المراغي بانشاء ثلاث كليات تكون مدة الدراسة فيها أربع سنوات تتخصص احداها في علوم العربية،وهى كلية اللغة العربية ،والثانية في علوم الشريعة وهى كلية الشريعة والقانون ،والثالثة في علوم أصول الدين وهي كلية أصول الدين .وقد دعا الامام الى ضرورة التمل على تحرير مناهج الأزهر من التقليد والتلقين في التدريس ،والأخذ بالأساليب الحديثة ،والتوسع في الاجتهاد.

ودعا الطلاب الى دراسة اللغات الأجنبية ليكونوا أكثر قدرة على نشر الاسلام والثقافة الاسلامية لغير المسلمين.وقد شكل الامام المراغي لجنة للفتوى داخل الجامع الأزهر تتكون من كبار العلماء تكون مهمتها الرد على الأسئلة الدينية التي تتلقاها من الأفرادوالهيئات،كما شكل أكبر هيئة دينية في العالم الاسلامي ،وهى جماعة كبار العلماء ، والتي تتكون من ثلاثين عضواً،واشترط الامام المراغي في عضويتها أن يكون العضو من العلماء الذين لهم اسهام في الثقافة الدينية،وأن يقدم رسالة علمية تنسم بالجرأة والابتكار.

وقد دعا الامام المراغي للتقريب بين المذاهب الاسلامية والتقريب بين طوائف المسلمين ،وبذل فيسبيل ذلک بعض المحاولات منها:اجراء محادثات مع أغاخان!!!بهدف تكوين هيئة للبحث الديني تكون مهمتها توثيق الروابط بين المسلمين في جميع أنحاء العالم واقامة نوع من التعاون بين الهيئات التعليمية في البلدان الاسلامية،والتوفيق بين المسلمين

مهما اختلفت مذاهبهم وفرقهم.

لا سلطان على شيخ الأزهر الّالله:

كان للامام المراغي مواقف تاريخية مشرفة تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أنه عالم رباني لا يخاف في اللّه لومةلائم من هذه المواقف المشرفة موقفه من الحرب العالمية،حيث رفض الامام المراغي فكرة اشتراک مصرفي هذه الحرب سواء بالتحالف أو التعاون مع الانجليز،أو التعاون مع الألمان للتخلص من الاحتلال البريطاني يذكر أن المصريين غرر بهم في هذه الحرب وصارت مصر بمحصولاتها وخيراتها ورجالها وقفا على احتياجات الانجليز في الحرب وقد كان الانجليز وعدواالمصريين بالاستقلال حال النصر وصدقهم المنبطحون،على حين توجه آخرون الى قبلة الألمان ليخلصوهم من الانجليز وفرحوا بدخول الألمان منطقة العلمين وهتفوا بقائد الجيش الألماني:"تقدم يا روميل"فأعلن الامام المراغي موقفه صراحة بقوله:"ان مصر لا ناقة لها ولاحمل في هذهِ الحرب،وان المعسكرين المتحاربين لايمتان لمصر بأية صلة"...

وقد أحدثت كلمة الامام المراغي ضجة كبيرة هزت الحكومة المصرية،وأقلقت الحكومة الانجليزية،والتي طلبت من الحكومةالمصرية .اصدار بيان حول موقف الامام المراغي باعتباره شيخ الأزهر من هذهِ الحرب ومن الحكومة الانجليزية فما كان من رئيس الوزراء المصري في ذلک الوقت حسين سري باشا الا أن قام بالاتصال بالشيخ المراغي وخاطبه بلهجةحادة طالبا منه أن يحيطه علما بأي شيءٍ يريد أن يقوله فيما بعد حتى لا يتسبب في اخراج الحكومة المصرية. فرد عليه الامام المراغي بعزة المؤمن الذي لا يخاف الّا اللّه قائلاً:"أّمثلک يهدد شيخ الأزهر؟" وشيخ الأزهر أقوى بمركزه ونفوذه بين المسلمين من رئيس الحكومة،ولو شئت لارتقيت منبر مسجدالحسين ،وأثرت عليک الرأي العام ،ولو فعلت ذلک لوجدت نفسک على الفور بين عامة الشعب.

وبعد فترة هدأت العاصفة لأن الانجليز أرادواأن يتفادوا الصراع مع الشيخ المراغي حتى لا يثيرالرأي العام في مصر ضدالقوات البريطانية المحتلةفي مصر.فلم يكن مؤظف دولة ولم يكن بوقا يردد ما تقوله الأنظمة الفاسدة وتطوع الأدلة لذلك فيرضى لنفسه أن يكون جزء اً من نظام فاسد له ما للنظام وعليه ما على النظام كما أنه لم يكن يعرف الخطوط الحمراء مع الساسة والسلاطين.

وقد تزعم الامام المراغي حملة لجمع تبرعات في مصر لصالح المجاهدين في السودان الذين يقاومون الاحتلال البريطاني في الوقت الذي كانت الحكومة المصرية للأسف تساعد الجيش الانجليزي على احتلال السودان،وبلغت حصيلةالتبرعات ستة آلاف جنيه مصري آنذاك تقدر اليوم بحوالي أكثر من ستة ملايين جنيه مصري.

ومن المواقف التاريخية المشرفة للامام المراغي رفضه الاستجابة لطلب الملك فاروق ملك مصر ، والخاص باصدار فتوى تحرم زواج الأميرة فريدة طليقته من أي شخص آخر بعد طلاقها ،فرفض الشيخ المراغي الاستجابة لطلب الملك فاروق،فأرسل الملك فاروق بعض حاشيته لكي يلحوا عليه لاصدارهذه الفتوىٰ،فرفض الشيخ المراغي،ولما اشتد عليه المرض دخل مستشفي المواساة بالاسكندرية،وهناك زاره الملك فاروق للاطمئنان عليه من ناحية،وللالحاح عليه مرة أخري لاصدار الفتوى الخاصة بتحريم زواج الملكة فريدة،فصاح الامام المراغي برغم ماكان يعانيه من شدة الألم بسبب المرض قائلاً:"أما الطلاق فلا أرضاه،وأما التحريم بالزواج فلاأملكه ،ان المراغي لايستطيع أن يحرم ما أحلَّ اللّٰه".

ولم يكن المرض ليمنع الامام المراغي من أداء واجبه في خدمة الأزهر ليكون قلعة ومنارة للاسلام.ففي احدى السنوات اشتد عليه المرض،وكانت فترة الامتحانات بالأزهر قد بدأت،فأصر الامام المراغي على الذهاب يومياً لمكتبه في الأزهر،حيث كانت تطبع أوراق

الامتحانات وبرر ذلک بقوله :" انني أتقبل تعرض صحتي للخطر وهو أمر أهون على من أن تتعرض سمعة الأزهر للخطر".(۴)

ماخذ مرفوضةعلى الشيخ:

وجهت انتقادات للشيخ المراغي فاتهم الشيخ المراغي بأنه يقول بفصل الدين عن الدولة ومواقف الرجل خلاف ذلک تماماً والا لما كبد نفسه مواجهة الملک فؤاد أوغيره ولما اعترض على دخول مصر مع الانجليز فيالحرب العالمية ولوكان يؤمن بالفصل لما كلف نفسه تعنيف رئيس الوزراء!

وسبب ذلک أن الشيخ كان يرى عدم التقيد بمذهب وفتح باب الاجتهاد في الأمور المستجدة في حياة الناس وأن آراء الفقهاء ليست هي الاسلام وانما تمثل نتاج اجتهاد علماء في أزمنة مخصوصة وفق وقائع ملموسة والتعسف في أخذ نتاج الأفراد على أنه هذاالدين يؤدي الى جمود تجرع المسلمون ويلاته منذ زمن بعيد وانما علينا أن نأخذ من حيث أخذوا ونستخدم أدواتهم في البحث ونعملها في النصوص الثابتة لنصل الى نتيجة في كل مسألة عصرية توافق المنقول والمعقول ولا تصطدم بالأصول فطالب بعدم التقيد بالآراء القديمة في فروع الفقه والتي نحتاج الى اعادة النظر فيها لتواكب الفقه.وأن من الأسراف في التعبيرأن يقال عن الأحكام التي استنبطها الفقهاء وفرعوا عليها واختلفوا فيها،وتمسكوا بها حيناً ورجعوا عنها أنها أحكام الدين"

شهادات بفضله:

قال عنه د.محمد سيد طنطاوي.شيخ الأزهر.بالرغم من أن حياة الشيخ المراغي كانت قصيرة،الا أنها كانت طويلة وكبيرة بالنسبة للأعمال التي قام بها في خدمة الأزهر من اصدار قوانين،وتطوير للمناهج،وانشاء كليات الغة العربية ،وأصول الدين،والشريعة والقانون.

ولم يكن الامام المراغي فلتة في عائلة،بل أحد أعضاء عائلة كلها علماء أثروا المكتبة الاسلامية بالكثير من المؤلفات والتراجم والتحقيق لكتب التراث.

وقالت عنه د.نعمات أحمد فؤاد:جمع الشيخ المراغي بين علوم الدين والعلوم الكونية كما أقر الاعجاز العلمي في القرآن بضوابطه،وكذلك الأدب كما كتب الشعر والنثر.

كمانادى بدراسة الأديان دراسة مقارنة ضمن مناهج الأزهر لتتجلى فيها الصورة المشرفة للاسلام،كما أكد أن التقدم العلمي والفلسفي ليسا بقادرين على منع الحروب وأسبابها،قد شهدت الأيام أن الحروب تزداد وحشية وقسوة بتقدم العلم ،وأن الاسلام.وحده القادر على وقف ومنع هذه الحروب.

وقال عنه:د.محمد نايل.عميد كلية اللغة العربية السابق،ورفيق الامام المراغي(رحمه اللّٰه).ان الامام المراغي كان ثورة لا يهاب أحداً في سبيل الحق.(٥)

تعارف التفسير:

هذاالكتاب يعتبر من أهم كتب التفسير التي صنفت في هذ االعصر،فاضافة الى أنه شرح المفردات وذكر المعنى الجملي للآيات،وأسباب النزول،فانه أعرض عن ذكر مصطلحات العلوم مما أدخله المفسرون السابقون في تفاسير هم حتى لا يكون هناك هوة بين جمهرة القراء والكتاب،اضافة الى أنه سلك في التفسير أسلوباً معاصرا،فكان له استشارات في الآيات التي أشارت الى بعض النظريات مع الأطباء وعلماء الفلك والمؤرخين والحكماء ليدلي كل برأيه فيما تمهرفيه.أما هذه الطبعة فنص الآيات فيها مسحوبا من القرآن اكريم،والآيات التي ضمن الشرح مشكولة اضافة الى تخريج الآيات والأحاديث الواردة في الكتاب.

منهج التفسير المراغي:

`المنهج الذي اتبعه المراغي في تأليف هذا التفسير يتلخص فيما يلي.

ذكر الآيات في صدر البحث:

كتب المفسر كل بحث بآية أو آيات من الكتاب الكريم،سيقت لتؤدي غرضاً واحداً.

شرح المفردات:

أردف ذلك التفسير مفرداتها اللغوية ان كان فيها بعض الخفاء على كثير من القارئين.

المعني الجملي للآيات:

أتبع ذلك بذكر المعني الجملي لهذه الآية أو الآيات ليتجلى للقاري منها صورة مجملة حتى اذا جاء التفسير وضح ذلك الجمل.

أسباب النزول:

أعقب ذلك بما ورد من أسباب النزول لهذه الآيات،ان صح شيء من ذلك لدي المفسر بالمأثور.

الاعراض عن ذكر مصطلحات العلوم.

ضرب صفحا عن ذكر مصطلحات العلوم:

من علم النحو والصرف والبلاغة الى أشباه ذلك،مما أدخله المفسرون في تفاسيرهم،فكان من العوائق التي حالت بين جمرة الناس وكرأة كتاب التفسير،فقد وجدوا طلسمات وألغازاً يصعب عليهم فهمها واليسر قدما في استيعاب قرأة كتب التفسير،لأنها من ألوان الصناعات التي يحض بها قوم من الناس،وتكون عونالهم على فهم الأساليب العربية فهم دراسة وتعمق كمايحض قوم من الأمة بالحياكة والنجارة والحدادة الى ذلك.

أسلوب المفسرين:

رأي أن الأساليب التي كتبت بها كتب التفسير وضعت في عهود سحيقة بأساليب تناسب اهل العصور التي ألفت فيهاويسهل عليهم فهمها،وأن جمهوتهم أو جزوافي القول وعدّوا ذلک مفخرة لهم.

ولماكان لكل عصر طابع خاص يمتاز به عن غيره في آداب أهله وأخلاقهم وعاداتهم وطرائق تفكيرهم وجب على باحثين في هذاالعصر مجاراة أهله في كل ما تقدم،فكان لزاماً علينا أن نتامس لوناً من التفسير لكتاب اللّٰه بأسلوب عصرنا موافقاً لأمزحة أهله،فأس التخاطب أن لكل مقام مقالاً،وأن الناس يخاطبون على قدرعقولهم،وقدرأينا أن نشيدفيه بجهود السابقين معترفين بفضلهم،مستندين الى آرائهم.

ولكن في الوصول الى فهم الآيات التي أشارت الى بعض نظريات في مختلف الفنون استطلاع آراء العارفين بها،فاستطعنا آراء الطبيب النطاسي،والفكى العارف والمؤرخ الثبت،والحكم البصير ليدلي كل برأيه فيما تمهّرفيه،لنعلم ماأثبته العلم وأنتجه الفكر،فيكون كلاماً معتزابكرامةالمعرفة التي تشرف بتفهم كتاب اللّٰه،فرجل الدين حامل لوائها،عليه أن يسأل العلم دائماً ليستبصر بما ثبت لديه،ويسايرعصره ما وجد الى ذلک سبيلا،فان قعدت به همته الى الموروث من قضاياه لدى الماضيين ركب شططاًوازداد بعداً عن الحقيقة،وتضاء ل أمام نفسه وأمام قارئي بحوثه ومؤلفاته.(٢)

ميزة العصر الحاضر في وسائل التفاهم:

يمتاز هذاالعصر بميل أهله سهولة الكلام ليفهم الغرض المراد منه حين التخاطب،دون احتياج الى التفاش وصنوف لتأويل،ومن ثم كان أهم ما عنيت به أن أقر فيالموضوع الواحد ما كتبه أعلام المفسرين على اختلاف نزعاتهم.وتباين أزمنتهم حتى اذا اطمأننت الى فهم ما قرأت وتمثلته وهضمه،كتبته بأسلوب العصر الحاضر،وهذا هو منهجي

في تأليف هذاالتفسير.

وما حملني على ركوب هذاالمركب الخش،واقتحام هذه العقبات و انصراف القارئين عن قراءة كتب التفسير التي بين أيدينا،بدعوى أنها صعبة المدخل مفعمة بكثير من المصطلحات التي لايعلمها الا أتقن هذه الفنون،واستبدلت بأساليب المؤلفين أسلوباً سهل المأخذ قليل الكفة في الفهم،حتى يستطيع القاري أن يلّم بأسرار كتاب اللّٰه دون كدّ ولا نصب.

تمحيص روايات كتب التفسير:

أشار الكتاب الكريم الى كثير من تأريخ الأمم الغابرة التي حلّ بها العذاب على مااجترحت من الآثام،والى بدء الخلق وتكوين الأرض والسمٰوٰت،ولم يكن لدي العرب من المعرفة ما يستطيعون به شرح هذه المجملات التي أشار اليها الكتاب ،اذ كانوا أمة أمية في صحراء نائية عن منّا هل العلم والمعرفه،والانسان بطبعه حريض استكناه المجهول،واستيضاح ما عزّت عليه معرفة،فألجاتهم الحاجة الى الاستفسار من أهل الكتاب من اليهود والنصارى،ولا سيما مسلمتهم كعبداللّٰه بن سلام وكعب الأحبار،ووهب بن منبه،فقصواعليهم من القصص ما ظنوه تفسيرالما خفي عليهم فهمه من كتابهم،ولكنهم كانوافي ذلک كحاطب ليل،يجمع بين الشذرة والبعرة،والذهب والشبه،اذلم تكن علوم القصاص ممحصة ولا مهذبة،بل كان يقصها الميزان العلمي الذي يتعرف جيد الرأي من بهرجه،وصحيحه من سقيمه ،فسأقوا الى المسلمين من الآراء في تفسير كتابهم ما ينبذه العقل،وينافيه الدين،وتكذبه المشاهدة،ويبعده كل البعد ما أثبته العلم في العصور اللاحقه.

وماكان مثلهم ومثل العرب الذين استوضحوهم بعض ما استعصي عليهم فهمه،الا مثل السائح الأوربي اذاجاء سفح الأوربي اذاجاء الى سفح الاهرام بمصر،وسائل العرب الضار بين خيامهم حولها.لم بنيت الأهرام؟ومن بناها؟ومتى بنيت؟وكيف بنيت؟فيجيبونه

اجابات بعيدة عن الحقيقة ومجانفه وجه الصواب.

عدد أجزاء هذاالتفسير:

جعل تفسيري ثلاثين جزءاً،لكل جزء من القرآن الكريم جزء خاص من التفسير،ليسهل على القاري حمل هذاالجزء واستصاحابه معه في حله وترحاله،في قطر السكك الحديدة وفي الترام،وفي كل مكان ينتقل اليه.

انتاجه في التفسير:

طرق الشيخ هذاالباب فعقد دروسا دينية في تفسير القرآن الكريم،استمع اليها الكثير من الناس على اختلاف طبقاتهم،من الملك الى رجل الشارع كما قلت،وأذيعت هذه الدروس أيضاً في كثير من ممالك الأرض ودول الاسلام وأخيراً طبعت هذه الدروس،ووزعت على الناس ليعم نفعها،ويزداد أثرها.

لم تكن هذه الدروس على شي من الكثرة،ولم يكن مقدار ماتناولته من آيات القرآن بالمقدار الكبير،الذي كنا نرغب ونطمع في أن تزود به المكتبة الاسلامية.

منهجه في التفسير:

يتتبع الانسان انتاج الأستاذ الأكبر في التفسير،ويستقص ما عرض له من آيات القرآن الكريم،فيلحظ أن الشيخ رحمه اللّٰه تعالىٰ كان يختار دروسة من آيات القرآن ما تتجلى فيه دلائل قدرة اللّٰه وآيات عظمته،وما تظهر فيه وسائل هداية البشر،ومواضع العظة والعبرة،كما يلاحظ أيضاً أنه وجّه جانباً كبيراً من عنايته الى الآيات التي يجمعها وقضايا علم الحديث صلة القربي،ليظهر للناس أن القرآن لا يقف في سبيل العلم،ولا يصادم ما صح من قواعده ونظرياته،وذلك بما يهديه اللّٰه اليه من الدقة في التوفيق بين قضايا القرآن،وقضايا العلم الحديث....دقة لا يبلغ شأوها،ولا يدرك خطرها الا من شغل نفسه،وكدّ فهمه في هذاالسبيل.

موقفه من مبهمات القرآن:

هذاوانّ الأستاذ المراغي قد نهج في تفسير منهج شيخه،فوجدناه لا يخوض في مبهمات القرآن بالتفصيل.ولا يدخل في جزئيات سكت عنها القرآن،وأعرض عنها الرسول ﷺ،فلا الروايات الموضوعة أو الضعيفة بكافية عنده حتى يزح بها في تفسيره،ولا الأخبار الاسرائيلية بمقبولة لديه،حتى يجعل منها شروحاً لما أجمله القرآن وسكت عن تفصيله،فلهذا نراه عند ماتعرض لقوله تعالىٰ﴿وسارعوا الى مغفرةٍ من رَّبكم وجنَّةٍ عرضهاالسمٰوٰت والأرض أعدَّت للمتَّقين﴾(آل عمران:133/3)(۷)

عناية باظهار أسرارالتشريح:

كذلک نجد الأستاذ الأكبر يهتم في تفسيره اهتماماً كبيراً باظهار سر التشريع الاسلامي.وحكمة التكليف الالٰهي:ليظهر محاسن الاسلام ويكشف عن هدايته الناس.

فمثلاً عندما تعرض لآيات الصوم في سورة البقرة.نجده يفيض في سرالصوم وحكمته فيقول:"لصيام أحد الأركان الخمسة التي بنى عليها الاسلام،وهو رياضة بدنينه وتهذيب خلقي".

معالجة للمشاكل الاجتماعية:

كذلک نجد الشيخ المراغي يعرض لمشاكل المجتمع وأسباب الانحطاط في دول الاسلام،فيعالج كل ذلک بما يفيضه اللّٰه على قلبه وعقله ولسانه،من هداية القرآن وارشاد.

ولقد كان الأستاذ بصيراًبمواطن الداء وأسباب الشفاء،فكان يهدف في دروسه الى علاجها واستئسالها،وكان كثيراً ما يوجه الخطاب الى أرباب الحل والعقد في الدولة.وهم غالية المستمعين له.ويلفت أنظارهم الى ما في أعناقهم من أمانات،وما عليهم من تبعات،ثم يأخذ بيدهم الى حيث يكون صلاحهم،وصلاح من تحت امرتهم ورعايتهم....يدفعه في هذا

كلّه اخلاصه لربّه.ولوطنه،ولأمته...

توفيقه بين القرآن والعلم الحديث:

هـذاوان الأستـاذ الـمـراغـي كان مع اعتقاده أن القرآن أتى بأصول عامة لكل ما يهمّ الانسان معرفته والعلم به،يكره أن يسلك المفسر للقرآن مسلك من يجر الآية القرآنية الى الـعـلـوم،أو العلوم الى الآية،كي يفسرها تفسيراً علمياً يتفق مع نظريات العلم الحديث ،ولكن الأستـاذ الـمـراغـي مـع هذا كله كان يرى أن يكون مفسر كتاب اللّٰه على شي من العلم ببعض نـظـريـات العلم الحديث،ليستطيع أن يأخذ منهادليلا على قدرة اللّٰه،ويستلهم منها مكانالعبرة والعظة.(٨)

حريّة الرأي في تفسيره:

ثـم ان الـمـراغي كان كغيره من رجال هذه المدرسة لا يتقيد بأقوال الأئمة،ولا يقف عـنـد مـذهـب مخصوص،ولا يقول برأي معيّن الا اذا اقنع به،والّا فلا عليه أن يتركه الى ما هو صـواب فـي نـظـره.فمثلاً عند ما تعرض لقوله تعالىٰ﴿فمن كان منكم مريضاً أو على سفرٍ فعدّة من أيّامٍ أخر﴾(البقرة:184/2)

وكـذلك يـقـال فـيالسـمٰوٰت السبع والأرضيـن السبـع،والـعـرب تذكـرالسبعة لـلـكثـرة،وتـذكر السبعين للكثرة كذلك ومنه﴿استغفرلهم أو لا تستغفرلهم ان تستغفرلهم سبعين مرّةً فلن يغفراللّٰهُ لهم﴾(التوبة:80/9)

نـجـد الأستـاذ الـمـراغـي فـي دروسـه الأخيـرة عـنـدما تعرض لقوله تعالىٰ:﴿ولقد زيَّنَّاالسَّـمـاء الـدنيـا بـمـصـابيـح وجـعـلـناها رجوماً للشَّياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير﴾ (الملک:5/67)

شـرح كـون الـنجوم رجوما للشياطين بما معناه:"أن ما في السماء من النجوم دلائل قـاطـعة عـلـى تـمـام قـدرة الـلّٰـه تـعـالىٰ:فـاللّٰه سبحـانـه وتعـالىٰ زيّنـاالسمـاء الدنيـابهذه

الكواكب.وجعلنها على هيئات مخصوصة ونظام محكم،لتكون حججاً دامغة،وأدلة قوية على من يجدون قدرة اللّٰه وينكرون وجوده".

ولست أدري كيف كان يستطيع الشيخ أن يحمل كل الآيات الواردة في هذاالموضوع على المعني الذي قاله حملا صحيحاً،وهي كما ترى صريحة في أن الشياطين كانوا يصعدون الى السماء ويسترقون السمع،ثم منعوا من ذلک عند رسالة محمدﷺ فمن حاول منهم استراق السمع كما كانوا يفعلون من قبل رمى بشهاب من السماء فحال بينه وبين ما يريد.

وخاتمة المطاف في هذه الدروس التي ألقاها الأستاذ الأكبر المراغي في التفسير:أنه كان منهـ كما قيل أمران عظيمان لهما خطرهما في الحياة الدينية:كانت عاملاً قوياً في توجيه المسلمين ونشئهم الطيب الظاهر الى الجانب الديني،ولفت أنظارهم الى ما في كتاب اللّٰه من تشريح حكيم،وأدب جم كريم،وارشاد قيّم مفيد فجبت اليهم الدين.وزينته في قلوبهم،وهرعوا اليه يتعرفون حكمه،وأحكامه ويتلمسون بها حياة طيبة قوية .أساسها الدين والخلق الكريم.(٩)

خلاصة البحث

احمد مصطفىٰ المراغي المصري عالم ديني وفقيه ومصلح ومجدد .كان مدرس الشريعة الاسلامية وتلقى العلم على يد كبار العلماء والمشائخ واتصل بالامام محمد عبده وانتفع بدروسه فيالتاريخ والاجتماع والسياسة وتأثر منه ونهج على طريقة من التجديد واطراح التقليد والعمل على تنقية الاسلام من الشائب التي ألصقت به.

وولى اعمالا منها قضاء الشرعى وقضاء القضاة في السودان في السنة ١٩١٩م.وتعلم الانجليزية في خلالها وعين شيخالأزهر في السنة١٩٣٥ .وله مؤلفات عديدة منها تفسير المراغي وهذا التفسير يعتبر من اهم كتب التفسير التي صنفت في هذاالعصر

ومـنهـج هـذا التفسير منفرد .فوجدناه لا يخوض في مبهمات القرآن بالتفصيل ،ولا يدخل في جـزئيـات سكت عنها القرآن وكان يختار دروسة من آيات القرآن الكريم ما تتجلى فيه دلائل قـدرـة اللّٰه وآيات عظمته،وما تظهر فيه وسائل هداية البشر ،ومواضع العظمة والعبرة ،كما أنه وجـه جـانبـاً كبيراً من عنايته الى الآيات التي يجمعها وقضايا علم الحديث صلة القربي،ليظهر لـلـناس أن القرآن لا يقف في سبيل العلم،ولا يصادم ما صح من قواعده ونظرياته ،وذلک بما يهديه اللّٰه اليه من الدقة في التوفيق بين قضايا القرآن الكريم وقضايا العلم الحديث.

هوامش

۱. الأعلام۲/۲۰۳،معجم المؤلفين۲/۳۰۵

۲. http://ar.wikipedia.org/wiki,www.Twfseer.com.

۳. المصدر نفسه.

۴. التفسير والمفسرون،ص۲۵۵،الموسوعة العربية العالمية:۵ /۱۷۵،الموسوعة العربية الميسرة،ص:۷۷۸

۵. المصدر نفسه.

۶. نظرات جديدة في التفسير،ص:۱۸۸.

۷. معجم المفهرس لألفاظ القرآن،۱۰/۱،مباحث في علوم القرآن ،ص:۵۶،التفسير الحديث،ص:۷۸

۸. تفسير المراغي،الشيخ المراغي وخدماته التفسيرية،ص۵۷.

۹. دراسات في علوم القرآن،ص:۷۷.نظرات في القرآن،ص:۶۷.

فهرس المصادر والمراجع:

١. البغدادي:اسماعيل باشابن محمد(ت:١٣٣٩ه/١٩٠٢م)،"هدية العارفين في اسماء المؤلفين وآثار المصنفين"منشورات مكتبة المثنى،أعادت طبعة بالأوفست، بغداد. ١٩٥١م.

٢. جميلة :الدكتورة جميلة شوكت ،"الشيخ المراغي وخدماته التفسيرية"مقال نشر لهافي مجلة"القلم"،المجلد:٥،العدد:٥،صدرت من كلية الدراسات الاسلامية بجامعة بنجاب لاهورباكستان.

٣. حسين:الشيخ محمد الخضر حسين (ت:١٩٥٨م)"بلاغة القرآن"تحقيق على رضا التونسي،المطبعة التعاونية بدمشق ١٣٩١ه/١٩٧١م.

٤. دراز:محمد عبدالله(ت:١٩٥٨م)"نظرات جديدة في التفسير"الطبعة الأولى،مطبعة السعادة بمصر١٩٦٠م.

٥. دروزة:محمد عزة"التفسير الحديث"الطبعة الأولىٰ،داراحياء الكتب العربية بالقاهرة،١٣٨٣ه/١٩٦٤م.

٦. الذهبي،الدكتور محمد حسين:"التفسير والمفسرون"الطبعة الأولى مطبعة السعادة، القاهرة.

٧. الزركلي:خيرالدين(ت:١٣٩٧ه)"الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمتشرقين"دارالعلم للملايين،بيروت،لبنان١٩٨٠م.

٨. صالح:الدكتور صبحي صالح:"مباحث في علوم القرآن"الطبعة الأولى،مطبعةجامعة دمشق١٩٥٨م.

٩. العاني:عبدالقهار داؤد العاني،"دراسات في علوم القرآن"مطبعة المعارف،بغداد١٩٧٢م.

١٠. عبدالباقي:محمد فؤاد عبدالباقي(ت:١٣٨٨م)"المعجم المفهرس لألفاظ القرآن"مطبع

دارالكتب المصرية ١٣٦٤ه.

١١. الغزالي:محمد الغزالي"نظرات في القرآن"الطبعة الأولى،مؤسسة الخازنجي بمصر١٣٧٧ه/١٩٥٨م.

١٢. كحالة:عمر رضا"معجم المؤلفين"تراجم مصنفي الكتب العربية،داراحياء التراث العربي بيروت.

١٣. المراغي:محمدبن مصطفى بن محمد بن عبدالمنعم المراغي (ت:١٣٦٤ه/١٩٤٥م) "تفسيرالمراغي"داراحياء التراث العربي،١٣٦٥ه.

١٤. "الموسوعة العربية العالمية"الطبعة الثانية،مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع الرياض،المملكة العربية السعودية١٤١٩ه/١٩٩٩م.

١٥. الموسوعة العربية الميسرة"اصدار وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية،الطبعة الثانية،مكتبة مصر١٤٠٤ه/١٩٨٣م.

مراجع انترنيت:

١٦.www.Tafseer.com.

١٧.ْhttp://ar.wikipedia.org/wiki.